

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾¹ وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾² ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ. أَشْعَثَ أَغْبَرَ. يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: "يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!" وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ. فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟³

يَا إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الصَّالِحَاتِ مِثْلَ شَدِّ الرَّحَالِ لِصِلَةِ الرَّحْمِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ طَلَبِ الرِّزْقِ مَعَ مَشَقَّتِهَا وَشَرَفِهَا وَعِزَّتِهَا غَيْرُ مَقْبُولَةٍ إِذَا غُذِيَ الْعَبْدُ بِالْحَرَامِ. لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا! فَلَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْإِنْتِبَاهِ عَلَى طَعَامِنَا وَشَرَابِنَا وَطَهَارَتِنَا الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ تَبَيَّنَ أَنَّ الدُّعَاءَ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ إِنْ غَفَلْنَا عَنْ ذَلِكَ. وَإِنَّهُ لَيَذَكِّرُنَا بِأَنَّ كُلَّ الْعِبَادَاتِ الطَّاهِرَةِ الطَّيِّبَةِ وَسَائِلُ لِقَبُولِ الْأَدْعِيَةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْرَاءَ،

رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْمُرُنَا بِشَيْءٍ عَبَثًا، كَمَا نَعْلَمُ. وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ فِي مَسْأَلَةِ التَّغْدِيَةِ وَغَيْرِهَا. فَيَجِبُ عَلَيْنَا كَمُسْلِمِينَ أَنْ نَجْتَهِدَ أَنْ لَا نَتَجَاوَزَ حُدُودَ الْحَلَالِ فَنَقَعُ فِي مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ تَشْرَحُ لَنَا الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي تَلَوْنَاهَا سَابِقًا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَعَامُنَا وَشَرَابُنَا طَيِّبًا - يَعْنِي نَظِيفًا طَاهِرًا - كَذَلِكَ.

وَالْمَقْصُودُ بِالطَّيِّبِ، هُوَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى نَتَائِجٍ إِجْبَابِيَّةٍ فِي بَدَنِنَا وَيُفِيدُنَا صِحَّةً. وَذَلِكَ يُشِيرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنَّ اجْتِنَابَ الضَّارِّ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

يَا أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْقِيَمَةُ،

بِقَوْلِهِ ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ بَيْنَ لَنَا خَالِقُنَا تَعَالَى تَأْثِيرَ تَعْدِيَّتِنَا عَلَى أَخْلَاقِنَا وَسُلُوكِنَا. فَإِنَّ عَادَاتِنَا فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ تَعَكِّسُ حَالَةَ أَنْفُسِنَا فَتُسَهِّلُ لَنَا مُحَاسَبَةَ النَّفْسِ وَتُظْهِرُ كَمْ نَمِيلُ إِلَى مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ. فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نَسْأَلَ أَنْفُسَنَا مُخْلِصًا: "كَمْ انْتَبَهْتُ إِلَى الْآنِ عَلَى كَوْنِ طَعَامِي وَشَرَابِي حَالًا طَيِّبًا؟ وَمَاذَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ بَعْدَ الْحِينِ لِأَكُونَ أَحُوطًا وَأَوْعَى؟"

إِخْوَتِي الْقِيَمُونَ،

لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ يُرِيدُ أَنْ تَتَدَمَّرَ دَارُهُ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا. وَلَا يَكْسِرُ أَحَدٌ شِبَاكَهُ وَبَابَهُ قَصْدًا. وَإِنَّ أَبْدَانَنَا الدِّيَارَ الَّتِي تَحْتَوِي أَرْوَاحَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةِ. وَصِحَّةُ الْبَدَنِ تُؤَثِّرُ صِحَّةَ الرُّوحِ كَمَا تُؤَثِّرُ صِحَّةُ الرُّوحِ صِحَّةَ الْبَدَنِ بِشَكْلِ إِجْبَابِيٍّ. مَنْ لَا يَصْرِفُ وَقْتًا وَمَالًا لِصِحَّتِهِ الْيَوْمَ سَيَصْرِفُهُمَا لِمَرَضِهِ غَدًا. فَلِنَّا كُلُّ مَنْ الْحَلَالَ الطَّيِّبِ لِتَزِيدَ قُوَّتَنَا الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ فَيَسْتَهْلُ لَنَا بِهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ.

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ أَكْلَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ مِنَ الْعِبَادَاتِ فَلَا يَنْبَغِي الْإِسْتِحْفَافُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ.

سَهَّلَ لَنَا اللَّهُ أَكْلَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ الَّذِي رَضِيَهُ! آمِينَ